

« شرف الثقافة والكرامة العقلية ! »

احوج ما يحتاج إليه الكاتب شيء اسمه الكرامة العقلية .. والكرامة هي ان يحترم الكاتب عقله وعقول الناس . هي ان يقرأ بوعي ليتثبت مما قرأ ، ويفهم بعمق ليطمئن إلى ما فهم ، ويراجع نفسه وقلمه قبل أن يصدر حكمه الأخير الذي يواجه به الجمهور القاري . أقول هذا بمناسبة الكلمة التي نشرت للأستاذ جبرا ابراهيم جبرا في العدد الماضي من « الاداب » .. لقد فسر الكاتب بعض كلمات كتبته تفسيراً يتنافى مع الفرض الذي أهدف إليه ، ونسب إليّ كلمات أخرى لم يتنبه إلى انها ليست لي ولذلك وضعت بين اقواس ، وأسقط – لست أدري عن عمد او عن غفلة – جزءاً من إحدى الفقرات حتى بدت أمام القراءة الحافظة او المتجنبة .. وهي غفلة المضمون ! . وتبعا لهذا هاجني السيد جبرا بأسلوب أقل ما يقال فيه أنه أسلوب غير مهذب ، حيث ينقصه الوقار . .

يقول الكاتب وهو يتهم بعد قراءة لا تثبت فيها ولا مراجعة : «(أدب واقعي متكامل، وأدب فردي ضيق) عبارة أخرى ،إذا شددتها بين يديك وتأملت في رسمها وحبها ، وجدتها زائفة رغم انتشارها . فانت تستطيع تمثل هذه السهولة ان تقول : «أدب واقعي ضيق وأدب فردي متكامل» فإذا استفدنا او خسرنا؟ المبالغة هنا بالطبع بين «ادب الواقع وادب الفردي» ولكن منطوي عبارة الأستاذ المداوي هو ان الادب الفردي لا يستطيع ان يكون واقعياً ، وأن الأدب الواقعي لا يستطيع أن يكون فردياً .. خلط عجيب !

هذا الخلط العجيب الذي ينسبه الكاتب يجب ان ينسبه الى نفسه ، لأن التعبير الذي يهاجني من أجله ليس لي وإنما هو بنصه للأديب المصري الفاضل محمود العالم .. ولقد ورد هذا التعبير في مقالي وهو مقتطف ضمن الفقرة التي ورد فيها من مقاله ، ثم وهو موضوع بين اقواس كما سبق أن قلت بقصد العرض والمناقشة . قال السيد محمود وهو يناقشني حول قضية الأدب الملتزم : « .. لم تعد قضيتنا هي قضية أدب ملتزم او غير ملتزم لا... بل قضية ماذا يلتزم الأديب؟ هذه هي المشكلة . ما هي حقيقة موقعه الاجتماعي ، من هذا السؤال تتبع التفرقة الحقيقية بين أدب واقعي متكامل ، وأدب فردي ضيق !

ومرة أخرى يقول الكاتب وهو يتهم بعد قراءة لا تثبت فيها ولا مراجعة : « وبعد هذا خذ كلمة الرومانسية التي يذرذرها الأستاذ هنا وهناك . دون ضبط ولادقة . فهو أولاً يقول : «الرومانسية او الابتداعية وأنا حين أرى أديباً يستعمل كلمة «الابتداعية» مرادفة للرومانسية ، أعرف في الحال مدى اطلاعه على تاريخ الادب !»

عيب الأستاذ جبرا أنه يقرأ « في الحال » ، ويفهم « في الحال » ويحكم « في الحال » .. ولو لم يكن كذلك لعرف أيضاً – وعن يقين – انني لم استعمل مطلقاً كلمة « الابتداعية » وهي مرادفة للرومانسية ، وإنما الذي استعملها أيضاً هو السيد محمود العالم ، وكل ما فعلته انا هو اني وقتت من هذه العبارة نفس موقعي من العبارة السابقة .. اعني اني اقتطفتها ضمن الفقرة التي وردت فيها من مقاله ، ثم اثبتتها في مقالي وهي موضوعة بين اقواس بقصد العرض والمناقشة . قال السيد محمود وهو يناقشني حول مشكلة النسبية في تقييم الفن : « حقاً ان دراساتنا التقييمية للفن ينبغي ان ترتبط بمحدود المرحلة

التاريخية المعينة التي صدر منها الاثر الفني . على ان لا تقف في هذا عند حدود التسمية الخارجية ، بل نتجاوزها الى تكشف الوظيفة . فالادب الرومانسي ( الابتداعي ) في القرن التاسع عشر لم يكن ادباً رجعياً بل كان في جوانب كثيرة منه ادباً ثورياً بكل ما في الكلمة من معنى !! ولم يكشف السيد جبرا بأن نسب الي ما لم اقل ، بل تعداه الى مايس في شخص الكاتب صفة الكرامة العقلية ، . فهو يقول لي على سبيل المثال : « وما الذي فهمه صديقنا من « تشايلد هارولد » لبايرون ، حتى حشره في زمرة « القصص » – وليس ذلك فحسب – بل حشره في زمرة القصص المائة ؟ إن لم يكن بايرون من امثلة الثورة في وجه الطغيان الاجتماعي والسياسي بكتابات وحياته ، فمن يكون ؟

إن الكاتب هنا يسخر مني .. لماذا ؟ لانني في زعمه او في وهمه قدحشرت اثرأ شعرياً لبايرون في زمرة الآثار القصصية ! هل حدث هذا حقاً ؟ اني أعيد هنا نص الفقرة التي ورد فيها ذكر « تشايلد هارولد » ليسخر السيد جبرا من نفسه ومن قراءته الحافظة ، أو على الاقل ليعتذر الى عقول القراء .. لقد قلت وانا اعقب على رأي السيد محمود العالم في مضمون الادب الرومانسي : « واذا كان هذا الادب ثورياً بكل ما في الكلمة من معنى كما يقول الاديب الفاضل ، فما هي المضامين الثورية التي يمكن ان نجدها في مجال القصة حين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: رينيه لسانوبريان ومازيون دلورم لهيجو ، ورفائيل لامرتين ، وادولف لكونستان ، وغادة الكاميليا لديتاس الابن ، وآلام فرتز وهرمن ودروتيه لجيته . وفي مجال الشعر أزهار الشر لبودلير ، وليالي دي ميسه ، وتشايلد هارولد وعروس ايدوس لبايرون ؟

هذه هي الطريقة التي يقرأ بها الاستاذ جبرا آثار الغير .. وهي نفس الطريقة التي قرأ بها «تشايلد هارولد» كما اعتقد ، والا لما بدا هذا الاثر الشعري في رأيه وهو ثورة في وجه الطغيان الاجتماعي والسياسي : وبدت قصة « فاوست » وهي تمثل الرومانسية في الصنع اشكالكها بدلا من « آلام فرتز » ! ولا يظن السيد جبرا اني بهذا سأناقشه ، كلا .. فانا لا اميل إطلاقاً الى انناقش فئة من الناس اعرف مدى شفهم بالبلوانية ، اومدى نزعهم الى تشويه قيم الآخرين !

وما هي البلبلوانية وما هو التشويه إذا لم يكن كل ما سبق من تعقيبات الكاتب يحمل كل ما فيها من مضمون ؟ وما همارة اخرى إذا لم يواجهك ايضاً مثل هذا التعقيب : « ما الذي يقصد اليه الاستاذ بعبارة «شرف الثقافة» وكيف يتنكر المضمون الاجتماعي اولا يتنكر لهذا الشرف ؟ بل ما معنى « الثقافة » في هذا الصدد ؟ وما الرابط الجديد الذي اكتشفه الكاتب بين المضمون الاجتماعي والثقافة ؟ هل يعد الاستاذ المداوي الاطلاع – مثلاً – على الآثار القديمة ودراستها ثقافة أم لا ؟ فكيف يتنكر المضمون الاجتماعي لشرف علم الآثار ؟ . ثم هذا التعقيب الآخر : « وانظر الى هذه المنبرية الطلابية التي لا تدل الا على تضخيم لذات لست ادري بأي حق يفرضها الكاتب علينا « ان الالتزام الذي نريده والذي دعوت اليه .. » من سمع او قرأ في تاريخ الادب عن ناقد خلق الادب الذي يتفق واهواه ؟

اما عن « شرف الثقافة » فهو تعبير يعرّف الإبداع التقدميون مضمونه ومغزاه ، ومعذرة لغير التقدميين إذا لم يفهموه ، وإذا لم يتنبهوا الى انني قد درت حوله بمثل هذه العبارات التفسيرية : « .. ولكنني حددت لون الاتجاه الالتزامي الذي يتناسب مع اوضاعنا الاجتماعية ، من خلال ادب يمكن ان

يشارك في توجيه هذه الاوضاع نحو اهداف متسامية .. ليس منها طبعاً ذلك الخروج الشاذ عن حدود الجماعة ، ولا ذلك التبرير الخجل لانواع الحياة ، ولا تلك الدعوة الانهزامية الى قبول الزعامة المطلقة .. هو في الادب ذلك المضمون الاجتماعي الذي لا يتنكر لشرف الثقافة .. ومعنى هذا اني تحدثت عن المضمون الاجتماعي بالنسبة الى « الادب » وتنكره او عدم تنكره لشرف الثقافة بالنسبة الى « الاديب » ، وما دامت الالفاظ هنا محددة مثل هذا التحديد فلم هذه البهلوانية في المناقشة عندما يسألني الكاتب عن كيف يتنكر المضمون الاجتماعي لشرف علم الآثار ؟

ولم هذه البهلوانية ايضاً في تفسير عبارة كتبها وهي : « الالتزام الذي نريده والذي دعوت اليه .. بأنني قد خلقت الادب الذي يتفق واهوائي ، او هكذا نسب الى اني اريد ان اقول ، او انني اريد ان افرض على الادباء اتجاهاً قد ابتكرته ؟ إن شيئاً من هذا لم يحدث .. لانني حين تحدثت عن الالتزام ذكرت اسم سارتر اكثر من مرة على انه صاحب النظرية أو صاحب الاتجاه ، أما عبارة « دعوت اليه » فعناها الواضح المفهوم هو « طالبت الادباء بأن يجهوا اليه » .. ومع ذلك فانا لم « افرض » هذه الدعوة أو هذه المطالبة على احد بل « رجوت » ، وهذه هي كلماتي في هذا الصدد : « هذا هو موقعي بالنسبة الى الادب المتزم منذ عامين ، دعوة اليه وايمان به ، و « رجاء » الى الادباء ان يميلوا شعلته ليصل الضوء الى القادمين من بعيد » !

بعد هذا يجب ان يفهم الكاتب مرة اخرى اني لا اناقشه .. وانا احدث الى القراء !!

انور المعداوي

القاهرة

\*

### الى الاستاذ منير البعلبكي

قبل كل شيء اقولها بصراحة : انني من الذين لا يعلقون اهمية كبرى على رأي « قاريء العدد الماضي من الآداب » لايماني الاكيد بان الرأي متصل اتصالاً وثيقاً بقائله ، فلا يعبر الا عن وجهته الشخصية . وقد يكون لغيره حق مشاركته الرأي نفسه ، وقد يكون لغيره كذلك حق مخالفته وعدم الالتزام برأيه ، وفي هذين الاتجاهين نرى كثيراً من التناقض والمطابقة في نتاج ادبي واحد لا يتغير .

اريد ، بما سلف قوله ، ان اخلص الى الحديث عن النهج الجديد الذي سار عليه الاستاذ منير البعلبكي في النقد - ونعم النهج - حيث يرى ( ان ينظر الى عدد الآداب ككل متماسك لا كأجزاء متفرقة )

جميل .. مثل هذا التحديد المنهجي الجديد الذي اخنطه الاستاذ البعلبكي ... ولكنني استوقفه ملياً واقول : هل طبق منهجه والتزم به ؟ الواقع .. لا ! .. وكان ما كان من نقد تجر يدي على طريقة غير متماسكة بما كان يروجها ، فلا هو

بالمنهجي الجديد ، ولا هو بسائر مع ركب النقد الاخرين .. فورط نفسه في اصدار احكام غير منسجمة على الاجزاء المبعثرة بين يديه ، حتى اضطره واقع الحال من جراء هذا التناقض والاضطراب الى الاعتراف المنسرح بعدم التزامه النهج الجديد الذي احتضنه وتبناه في مهده !

على هذا الاساس المتقدم ، اسمح لنفسي ، ان اناقش الاستاذ البعلبكي فيما يخص قصيدي ( اعراس الثوار ) المنشورة في العدد الرابع من الآداب فهو يقول ( مصيبة هذا العدد في قصائده وعددها كما سلف ثمان ، ما كان ينبغي ان يثبت منها للغربة ، ولا نقول للنخل ، غير قصيدة او قصيدتين ، واذا اردنا التسامح (!؟) قلنا غير ثلاث قصائد هي (مرثية جيكور) للاستاذ بدر شاكر السياب و ( غزل في الاغلال ) للاستاذ عصام حماد و ( امرأة على درب ) للاستاذ محيي الدين فارس ، واذا كنت اعد قصيدة السياب خير شعر العدد اطلاقاً ! فليس يعني ذلك من ان اقول الخ ... )

انا آسف ان اقرر ان الاستاذ البعلبكي اصدر احكامه بدرجة من الشمولية لا تستند الى الدقة والحصر والروية المفترضة في الناقد الفني ... وارجو الا يتبادر الى ذهنه اني ممن يبتغون استعطف المديح او يستنكرون النقد الحر المجرد من الاهواء .. ولكنني بالرغم عنني اقرر كذلك .. ان « اعراس الثوار » تقف شاححة بكل كبريائية بين صفحات عدد الادب الماضي ، بروحها الثوري العنيف ، وعروبته المتحدية ، وتمرد هاعلى الاستعباد الاجنبي الوحشي ورومانتكيته الحافلة بالحياة والبعد عن الوهم واليأس والكآبة الى جانب الاصداء المدوية من رنين الاغلال التي تتهشم على صخرة واقعيته الحية ! ومن حقي ان اطالب الاستاذ البعلبكي ( بغربة ) اعراس الثوار و ( نخلها ) و ( تصفيته ) كذلك كما يشاء من غير تسامح ومن حقي ايضاً ان اطالب بان يقدم للقراء ... بيتاً واحداً ... أجل ... بيتاً واحداً من أصل ( ٥٢ ) بيتاً ، يقف وحده أسيفاً . نثرية ، مريضاً بين سطورها ، بعد ان استعرض بثاقب فكره النير الابيات المهلهلة التي اكتشفها وساقها الى القراء .. حتى تتبين للحقيقة ، القيمة الواقعية .. للنهج الجديد !

تبقى هناك ، قضية اعتبار « مرثية جيكور » خير شعر

العدد إطلاقاً على حد تعبير الاستاذ البعلبكي ، وهي لعمرى  
افجع حكم ادبي يصدر عن الاستاذ البعلبكي وما يستتبعه من  
مسؤولية مقررة ..

ان السياب اخي وصديقي الصدوق ، ولا أريد ان اسمي  
اليه ، أو انتقص من مكانته كشاعر من شعواء الشباب الاحرار  
والطلبة الواعية في العراق ، بل اني من المعجبين بشاعريته  
الحصبة وقد جاهرت برأيي اكثر من مرة سواء على صفحات  
الآداب او غيرها ، واخي السياب يعرف ذلك جيداً عني ،  
لا مجاملة او مواربة مني ، ولكن دفاعاً عن الحقيقة الادبية  
الحالدة . غير ان الحقيقة نفسها تدفعني ، مجردة من وشائج  
الصداقة او الاخوة ، الى القول بأن « مرثية جيكور » كانت  
فيما ارى من القصائد الميثة في عدد الآداب المنصرم ان لم تكن  
اقرب الى ادناها شاعرية ، ولست ادري كيف سمح الاستاذ  
البعلبكي لنفسه الى مهاجم الشعر النثوي في قصائد الآخرين  
ويغض الطرف عن (العقار الأكد والساعة القوراء والار كيد  
والرغيف الوئيد وحساب النقود و ( بما ) ( ليس ) ( غير )  
عقم الولود وكأئ ذو نقود وشيخ اسم الله ترللا ، ترللا عرس  
حمادي ) الى آخر ما احتوته قصيدة اخي السياب المضطربة  
التي ضج بها التكرار اللفظي والتعميه الباهت واختفت من  
اجواء القلق وعدم التركيز في المشاعر الوجدانية الواضحة  
بالإضافة الى تطعيمها بشاردات المتنبئ وشذرات المعري بمسوخة  
مهرة ، كل ذلك دليل على فشل السياب في هذه القصيدة ذات  
القافية الواحدة ، وبرهان آخر من وجهة ثانية على نجاحه  
الرائع في طريقة الشعر الحر .. كعمله في ( حفار القبور ) ..  
تلك الرائعة الانسانية الفخمة وسواها .. الموسم العمياء  
والاطفال والاسلحة وقصيدته الممتعة ( انشودة المطر ) .  
وارجو ان يتقبل اقوالي برحابة صدر اخوي ، وللاستاذ  
البعلبكي خالص محبتي وتقديري .

علي الحلبي

بنداد

\*

حتى انت يا بروتوس !

( الى الشاعر نزار قباني )

قبل الف واربعمئة عام ، قال عمر بن الخطاب : اصابت

امرأة وأخطأ عمر .

وقبل بضعة ايام فقط قال السيد نزار قباني ، اصابت  
امرأة وأخطأ العمالة .

لقد كنت اظن ان المرأة اعرق في الرواسب من الرجل ،  
فلما قرأت كلمة الاستاذ نزار ، عجبت لشاعر متحرر يستكثر  
على امرأة أن تفهم ما لم يفهمه العمالة ، ولم تستطع كلمتي  
وقد وعائها ، ان تنفض عنه اثقال الرواسب القديمة على ظهور  
الرجال - حتى وهو يدافع عن المرأة ؟ -

فان كان عمر ( رضه ) قال هذا زمن وأد البنات فهوليس  
بلوم ، وإن كنا نحن معشر النساء ننتقل الى بيوت ازواجنا  
مقرونين بالصناديق وعلب التواليت والسجاد التبزيبي بل  
والحصير القشي فإن موجة الوعي الصاعد لفضح ومقاومة هذا  
الوضع المزري ، لكفيلة بان تنتزع منا قدر الامكان ، رواسب  
تلك النظم النخرة ، وتجعلنا نمد أيدينا الى نصفنا الآخر لنساهم  
واياهم في تحطيم كل قيد يعرقل سير تقدمنا الى الامام ، أوليست  
قضيتنا واحدة ؟ ثم أليست المرأة نصف المجتمع ؟ ومن احق  
بجمل تلك الرسالة من الادباء والمفكرين رجالاً كانوا ام نساء .  
إن مجرد البحث في قضية المرأة ، ومحاولة اثبات ، او  
عرقلة حقوقها والاعتراف بها كإنسان كامل ، هو في الحقيقة  
اهانة لها ومصيبة ، ونحن لا نلوم الجهال والمعرضين الذين  
يفصلون قضية المرأة عن الرجل بل نوجه اشد اللوم واعنف  
العتاب ، لانسان واعٍ مفكر وشاعر رقيق كالاستاذ نزار ، بل  
ونحاسبه حساباً عسيراً على قوله ( يا الله اصابت امرأة وأخطأ  
العمالة !!! ) كم في هذه الكلمة الخارجة من الاعماق من  
رواسب الاجيال !!

ثم من هم هؤلاء العمالة ؟ ومن عملتهم ؟ أوليس هذا  
النظام نفسه الذي ثار عليه الشاعر نزار والذي نزع تحت  
وطأته ، أوليس هذا هو الذي عملق العمالة وغمر المغموين ؟  
اتي ارى ان القضية قضية ثقافة صحيحة ورأي صواب ،  
أو ثقافة مغلوطة ورأي خطأ ، بغض النظر عن الالقاب والاسماء  
مهما بلغت من الشهرة والضخامة ، وكم من الناس المغموين  
لواتيحت لهم الفرص لبلغوا القمة ، وكم من عمالة فرضوا  
على الناس فرضاً .

ارجو ان يقبل الشاعر هذه اللفتة بصدر رحيب ونية حسنة .

ندی كياي

بيرزيت